المجلة السياسية والدولية

اسم المقال: ثقافة العولمة والإعلام العولمي
اسم الكاتب: أ.م.د. ثامر كامل محمد، م.د. احمد شكر
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/2098
تاريخ الاسترداد: 2025/05/05 12:19 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من الصفحة الخاصة بالمجلة السياسية والدولية على موقع المجلات الأكاديمية العلمية العراقية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

ثقافة العولمة والإعلام العولمي

الاستاذ المساعد الدكتور ثامر كامل محمد[*] **المدرس الدكتور أحمد شكر**[**]

المقدمة

لقد تزايد استخدام اصطلاح العولمة في الأدبيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية والإعلامية المعاصرة تعبيرا عن عمليات التغيير الحاصلة في مفاصل الحياة اليومية للمجتمع، فضلا عن كونه يمثل عملية مستمرة يمكن رصدها باستخدام مؤشرات كمية وكيفية في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة والإعلام والاتصالات. ويعد الكتاب الغربيون من أوائل أولئك الذين تعاملوا مع مفهوم العولمة، لأن هذه الظاهرة انبعثت في الأساس عن النظام الرأسمالي الغربي، وبرزت تعريفات عديدة في الغرب للدلالة عليها. ومعظم هذه التعريفات ترى أن العولمة هي اندماج أسواق العالم وانتقال الأموال والقوى العاملة والثقافات بحرية، وتماثل السلع المستهلكة في عدة دول، وانحسار السيادة الوطنية، وتراجع القيود الجغرافية، وانضغاط الزمان والمكان وتعاظم الوعي في العالم، واشتداد الشعور به. وأنها تبادل شامل وإجمالي بين مختلف أطراف الكون يتحول العالم على أساسه إلى محطة تفاعلية إنسانية، وهي نموذج (للقرية الكونية) الصغيرة التي تربط مابين الناس والأماكن ملغية المسافات ومقدمة للمعارف دون قيود أو شروط[1]. وفي واقع الأمر أن مهمة إيجاد صيغة مفردة تصف كل هذه الأنشطة تعد عملية صعبة لأن هذه الأمور لاتقررها بدقة (خطة رئيسية) واحدة متجانسة بل تتميز هذه التدفقات والتفاعلات – من حيث السرعة والنظام والتأثير – بأنها مجزأة ومنفصلة بعضها عن البعض.

أهمية البحث:

يكتسب هذا البحث أهميته من حقيقة أن النقاش حول العولمة بكونها ظاهرة معرفية ابستمولوجية قد أصبح واسعا في الوسط الثقافي والإعلامي، وقد مال إلى التبلور حول نزعتين رئيسيتين فمن ناحية تستخدم العولمة للإشارة بغموض إلى الاعتماد المتبادل المتنامي بين مجتمعات العالم من خلال أبعاد عديدة ومختلفة. ومن جهة أخرى يستخدم هذا المفهوم بشيوع معنى عولمة المؤسسات والنظم والممارسات مثلما نجد في تعبير (عولمة العلم)) (عولمة التعليم) ((عولمة الإعلام) وغيرها. غير أن التلاقي بين هاتين النزعتين يؤكد على رفع التبني والأنشطة أو نزعها من السياقات المحلية لكي تصبح عالمية.

إشكالية البحث:

تقوم إشكالية البحث على أربعة محاور أساسية، يمكن تحديدها على الوجه الآتي

- كون العولمة وآليات حراكها، تمثل شواغل مهمة للنخب السياسية ومؤسسات المجتمع المدني في بلداننا العربية.
- كون آليات حراكها، ولاسيما السياسية والثقافية والتقنية والإعلامية، قابلة للتكيف والتجدد والتوظيف أو لممارسة الضغط أو الاختراق بواسطتها في البيئة الاجتماعية العربية.
- معظم التحديات الناجمة عن العولمة الإعلامية أو الإعلام العولمي ذات تأثيرات سلوكية واجتماعية، وتؤثر في فاعلية أداء المجتمع وتوجهاته.
- مواكبة روح العصر التي تتطلب البحث في إمكانية التكيف مع ايجابيات العولمة، وتطوير فرص التفاعل الإيجابي مع آليات حراكها، والحد من تأثيراتها الرامية إلى استهداف بيئة نظمنا السياسية والاجتماعية والأمنية، ومقوماتنا الاقتصادية والثقافية والتقنية.

فرضية البحث:

---

[*] **باحث اكاديمي**

[**] **كلية القانون، جامعة الانبار.**

[1] **ثامر كامل محمد، ياسر علي إبراهيم، العولمة وفجوة الأمن في الوطن العربي، (عمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، (**)) (* – .**

إن الفرضية التي ينطلق منها هذا البحث تقوم على أن ثقافة العولمة والإعلام سلطة تكنولوجية ذات منظومات معقدة، لا تلتز بالحدود الوطنية للدول، وإنما تطرح حدودا فضائية غير مرئية، ترسمها شبكات اتصالية معلوماتية على أسس سياسية واقتصادية وثقافية وفكرية لتقيم عالم المؤسسات والشبكات التي تتمركز وتعمل تحت إمرة منظمات ذات طبيعة خاصة وشركات متعددة أو متعدية الجنسيات. ويتسم مضمونها بالعالمية والتوحيد، على الرغم من تنوع رسائله التي تبث عبر وسائل تتخطى حواجز الزمان والمكان واللغة لتخاطب مستهلكين متعددي المشارب والعقائد والرغبات والأهواء.

وإزاء ذلك، يمكن أن نتساءل أين نحن من ظاهرة العولمة ؟ وماهي أهداف ثقافة العولمة ؟ ومالذي تفرزه من فرص وتحديات ؟ وكيف يمكن مواكبة آليات حراكها بمسؤولية وطنية لتضييق الفجوة الثقافية والحضارية بيننا وبين الآخرين والتي تزداد تقدما.

منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث على منهج مزدوج يقوم على الوصف والتحليل، من خلال استعرا الأطر المفاهيمية النظرية لظاهرة العولمة ووصفها وتحليلها، ومحاولة ربطها بالواقع العملي التجريبي. سعيا للكشف عن أهدافها، وآليات اشتغالها، وتأثيرها. وصولا إلى استخلاص الدروس حول كيفية الاستفادة من ايجابياتها، والفرص التي تقدمها من ناحية، وتقليص تأثيراتها السلبية من ناحية ثانية.

أقسام البحث:

يقسم هذا البحث إلى مقدمة وخمسة محاور أساسية، يتناول المحور الأول منها تحليل الإطار المفاهيمي للعولمة بهدف الكشف عن دلالاتها ومضامينها. ويتناول المحور الثاني بالوصف والتحليل ثقافة العولمة وأهدافها. أما المحور الثالث من البحث فقد سلط الضوء على مضمون الإعلام العولمي. وتناول المحور الرابع تأثيرات الإعلام العولمي وثورة المعلومات والاتصالات. ويتضمن المحور الخامس الإجابة على سؤال ما العمل ؟

أولا: مفهوم العولمة

إن معظم التعريفات ذات المرجعية الغربية التي تناولت العولمة؛ يجمعها قاسم مشترك هو أنها تعكس الصفة البريئة للعولمة، وتميز الجانب الاقتصادي وتبرزه على جوانب أخرى، وتؤكد اضمحلال أو على الأقل تقليص دور السيادة والحدود السياسية واختزال المسافات الجغرافية، وتنطلق إجمالا من منظور فكري متقارب يرى إن العولمة تمثل مرحلة التتويج الكبرى للنظام الرأسمالي على المستوى الكوني. وقد تناول الكتاب والمفكرون العرب ظاهرة العولمة بالدراسة والتحليل، وفي سياق توضيح دلالتها وتحديد مفهومها، قدموا عدة تعاريف بشأنها

فبينما يطلق "إسماعيل صبري عبد الله" على العولمة مصطلح الكوكبة ويقصد بها التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو الانتماء إلى وطن محدد أو دولة ما ودون حاجة إلى إجراءات حكومية[2]. يطرح "صادق جلال العظم" رؤية مقاربة لهذا التعريف إذ يرى إن العولمة هي حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وقيادتها وتحت سيطرتها وفي ظل سياسة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ، ويلخص رؤيته بالتأكيد على أن العولمة هي تحويل كل الأشكال التي قدمتها الحضارة البشرية عبر مسيرتها التاريخية إلى سلع[3]. في حين يرى "برهان غليون" إن العولمة تتجسد في نشوء شبكات اتصال عالمية تعمل على ربط جميع الاقتصاديات والمجتمعات والبلدان وتخضعها لحركة واحدة أو نظام واحد[4]. أما " صلاح الدين عمارنة " فيعرف العولمة على أنها نظام عالمي جديد يقوم على العقل الالكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود، دون اعتبار للأنظمة والثقافات والحضارات والقيم والحدود الجغرافية

---

[2] إسماعيل صبري عبدالله، الكوكبية: الرأسمالية العالمية في مرحلة مابعد الإمبريالية، مجلة المستقبل العربي، العدد : (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،))- : .

[3] صادق جلال العظم، ماهي العولمة، مجلة الطريق، العدد الرابع، السنة السادسة والخمسون، (بيروت، تموز / يوليو) / .

[4] برهان غليون وسمير أمين، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، (دمشق، دار الفكر،) / .

والسياسية القائمة في العالم . ويرى "محمد عابد الجابري" إن مصطلح العولمة قد ظهر أول مرة في مجال المال والتجارة والاقتصاد، وهي الآن نظام عالمي أو يراد به أن يكون كذلك ويشمل المال والتسويق والمبادلات والاتصالات، كما يشمل مجال السياسة والفكر والإيديولوجيا، وهي أيضا إرادة للهيمنة وبالتالي هي قمع وإقصاء للخصوصية[5].

أما "جلال أمين" فيذهب إلى تعريف العولمة من خلال عناصرها الأساسية والتي تتمثل في ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم سواء المتمثلة في تبادل السلع والخدمات أو في انتقال رؤوس الأموال أو في انتشار المعلومات والأفكار أو في تأثر أمة بقيم غيرها من الأمم وعاداتها .

وهناك تعريف آخر على أساس (كوكبي عالمي) يشير إلى أن العولمة هي عالم بلا دولة، بلا أمة، بلا وطن، إنها عالم المؤسسات والشبكات العالمية ... ويشير هذا التعريف إلى جوهر الخلاف حول العولمة الذي يدور بالأساس حول مشكلة الثقافة الكونية والخصوصية. ويركز على آلياتها الاقتصادية التي تتمثل أساسا في الاعتماد المتبادل بين اقتصاديات مختلف الدول، وحرية السوق وتحرير التجارة من القيود كافة، والخصخصة وتدعيم حرية رؤوس الأموال في التنقل عبر الحدود بغير حواجز، وتشجيع الاستثمارات الأجنبية .

ويعرف آخرون العولمة بأنها عصر المابعديات المرنة التي تحل محل الماقبليات الجامدة، حيث أننا دخلنا عصر ما بعـ. الإيديولوجيا وما بعـ. الحداثة وما بعـ. التاريخ، إذ أن هناك سيولة فكرية في الفكر الحديث تتناقض في طبيعتها مع فكرة النسق الفكري المتكامل، ولكن يلاحظ على الجانب الآخر بروز فكرة الواحدية الإنسانية الإمبريالية إذ يصبح الغرب نموذج الانا المقدسة (السوبرمان) التي ترى بقية البشر (السبمان) الذين يمكن هزيمتهم وتوظيفهم لنفعها وبذلك انقسم العالم إلى (الغرب وبقية العالم)[6].

وليس أخيرا يعرف المفكر العربي "عبدالاله بلقزيز" العولمة بأنها (اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات، إنها رديف الاختراق الذي يجري بالعنف – المسلح بالتقانة، ويهدد سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبلغها عملية العولمة) .

يتضح من جملة ما تقدم إن العولمة تعني انضغاط الزمان والمكان في العالم وتعاظم (الوعي) بالعالم أو اشتداد الشعور به، أي الوفرة المتزايدة باستمرار في الصلات العالمية وفهمنا إياها، ويقصد بانضغاط الزمان والمكان العمليات التي تغير صفات الزمان والمكان وتصوراتنا لها، بمعنى تسارع إيقاع أو (وتيرة) الحياة والتغلب على الحواجز والعوائق المكانية ولاسيما المرتبطة بالتاريخ. الواضح إن الانضغاط مفهوم نسبي يتضمن المقارنة بظروف سابقة. ذلك أن انضغاط العالم بحسب " كريس باركر" هو مفهوم من منظور مؤسسات الحداثة، أي عولمة الممارسات الاقتصادية والثقافية والإعلامية الحديثة[7] .

وعلى هذا فإن العولمة أصبحت واقعا، والطريق إليها تتلاحق فيه الأضواء المبهرة والعتمة القاتمة، وتلوح في الأفق طاقة أمل تحتاج إلى قدر هائل من العمل. والأسئلة التي تشخص هنا، هل هي (نهاية التاريخ) كما يدعي " فوكوياما" الياباني الأصل المنتشي (بالحضارة) (التكنولوجيا) الأمريكية ؟ أم هي مرحلة (صدام حضارات) مروعة كما يصورها "صاموئيل هنتنغتون" ؟ والأول يستنتج من جديد الحتمية التاريخية التي أشار إليها كل من "هيغل" " "ماركس"، ولم يكبح جماح حماسه مصير النظريتين الجدلية الهيغلية والماركسية. والثاني يستوحي حربا صليبية من جديد، مبشرا بصدام بين الغرب والحضارة الإسلامية والكونفوشيوسية، ويبشر بالهيمنة الغربية.

---

[5] نقلا عن: سمير أمين، في مواجهة أزمة عصرنا، (القاهرة، مؤسسة الانتشار العربي،) : .

[6] محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية: تقييم نقدي لممارسات العولمة في المجال الثقافي، في أسامة الخولي (محرر) وآخرون، العرب والعولمة بحوث الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، المركز،) .

[7] جلال أمين، العولمة والدولة، في أسامة الخولي (محرر) وآخرون، المصدر السابق، ص .

[8] فاطمة القليني، محمد شومان، الدعاية والإعلان بعد سبتمبر، (القاهرة، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع،) .

[9] عاطف عدلي العبد، نهى عاطف العبد، الإعلام التنموي والتغيير الاجتماعي: الأسس النظرية والنماذج التطبيقية، (القاهرة، دار الفكر العربي،) (.

[10] عبد الإله بلقزيز، العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟ ، في أسامة الخولي (محرر) وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص .

[11] كريس باركر، التلفزيون والعولمة والهويات الثقافية، ترجمة علا أحمد إصلاح، (القاهرة، مجموعة النيل العربية،) .

أم إن الأمر لا يعد أن يكون دورة جديدة من دورات الزمن، تتهيأ للبشرية فيها فرصة جديدة إذا لم يتخلَّ الإنسان فيها عن إنسانيته ؟ أي التبشير بعصر جديد تتوازن فيه النهضة التكنولوجية الهائلة والثورة المعلوماتية، مع الاعتبارات الإنسانية والقيم الأخلاقية، وتسود فيه قيم العدل والترابط الاجتماعي وتسمو فيه الفنون والآداب الراقية. عصر جديد تتلازم فيه آفاق التقدم في عصر العولمة والإصلاح والتحديث، مع روابط الانتماء والولاء للإنسان والعائلة والوطن، وتتعايش فيه امكانات العولمة مع مسؤوليات الالتزام، وقيم الهوية والحضارة .

ولكي لا نبتعد كثيرا عن الواقع ونستغرق في التشاؤم المفرط أو التمني، نجد أن العولمة مفهوم مركب ذو أبعاد اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية وتقنية وإعلامية؛ وفي إطاره يصبح البعد الجغرافي أقل تأثيرا في إقامة العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية واستمرارها عبر الحدود والمسافات، والعالم لاينكمش حقيقة ولكن المسافات تصبح عمليا أقل استهلاكا للوقت. وفي سياق العولمة يكاد ينسلخ الناس والرموز والسلع من البعد الجغرافي وينتزعون في كثير من الأحيان من جذورهم الوطنية، وتفتقد كثير من الشعوب والمجتمعات الحماية التي كانت تكفلها لها حدودها.

وبينما كان النقاش ولوقت قريب مضى على أشده بين من يحاولون متأخرين الإجابة على سؤال؛ هل ندخل العولمة أو نرفضها ؟ فالحقيقة التي أصبحت ماثلة الآن هي إننا قد أصبحنا فعلا جزءا من العولمة مما يتوجب علينا – لضمان تحقيق تنمية سياسية للمجتمع المدني في بلداننا، بأقل قدر من التأثيرات الخارجية – المحركات الأساسية للعولمة المتمثلة في الثورة التكنولوجية وثورة الاتصالات، وسيادة نظرية اقتصاد السوق، وعولمة الإنتاج ورأس المال، وتغير الخريطة (الجيوسياسية) للعالم، وبروز ظاهرة الإمبريالية الثقافية، وتطور أدوار وميكانزمات وسائل الإعلام السمع بصرية، ويبقى بعد هذا وقبله سؤال جوهري كثيرا ما ينبهنا إليه بعض المفكرين العرب ألا وهو إلى أي حد سيبلغ تغلغل هذه المحركات بكمها وكيفها في العمق السوسيولوجي لوطننا العربي ؟

ثانيا ثقافة العولمة

تطالب العولمة بالحفاظ على مستويين ثقافيين ورفض مستوى ثالث، فهي تؤكد على ثقافة عالمية كما تؤكد على الثقافات المحلية المحدودة والتي عليها أن تتعايش في ظل القيم والثقافة العالمية، لكنها ترفض ثقافة الأمة والدولة، الثقافة المستندة إلى الدين والتراث، وهو ما يعني التفكيك الثقافي للعالم لإعادة صياغته . والثقافة بوصفها منتجا اجتماعيا، قد أصبحت جزءا من العملية الاقتصادية التجارية الجديدة أسوة بغيرها من السلع والمنتجات المادية، إذ تحررت من القيود الكمركية وأصبحت قابلة للتداول على أوسع نطاق في السوق العالمية وتخضع للإجراءات والأحكام نفسها المفروضة على سواها من السلع المادية غير أن مجال المنافسة في تسويق هذه السلع أصبح محدودا للغاية وغير متاح إلا للقوى الرئيسية المسيطرة على تكنولوجيا صناعة المعلومات وتشكيل العقول وأنماط التفكير والسلوك . وقد أتاح التفوق التكنولوجي للغرب، والذي تحقق خلال النصف الثاني من القرن العشرين إمكانية التحكم في صناعة المعلومات والاتصال والهيمنة على السوق العالمية من خلال الشركات العملاقة والمؤسسات والشبكات الدولية المعلوماتية والاتصالية؛ يعززها ويدعم شرعيتها الثلاثي المعروف (صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية)، مما أفسح المجال لظهور مابات يعرف (بالعولمة الثقافية). إذ أصبحت الثقافة وسائر مكونات المنظومة الحضارية تمثل الساحة الرئيسية للصراع، حيث تواصل القوى الرئيسية المتحكمة في العولمة محاولاتها الدؤوبة من أجل عولمة الثقافة والتعليم والدين وسائر مكونات المنظومة الحضارية التي كانت تحتفظ باستقلال نسبي خارج دوائر السوق العالمية وقيمها. وبينما تمكنت الدول العربية من بناء سيادة للحقل الثقافي الوطني لمدة طويلة تمثل عمر الدولة الوطنية وسيادتها على أرضها ومواطنيها، وظلت الثقافة الوطنية تستمد أسباب سيادتها وتجددها من مصدرين رئيسيين هما الأسرة؛ بوصفها المؤسسة الاجتماعية الأولى التي تنتج الوجدان الأولي، والمدرسة؛ التي تواصل الوظائف التربوية للأسرة في إطار الجماعة الوطنية، حيث تقوم المدرسة بوظيفة إرساء الثقافة

---

[12] **حسين كامل بهاء الدين، الوطنية في عالم بلا هوية: تحديات العولمة، (القاهرة، دار المعارف،))--.**

[13] **فاطمة القليني، محمد شومان، مصدر سبق ذكره، ص) . .**

[14] **عواطف عبد الرحمن، الإعلام والعولمة البديلة، ط (القاهرة، العربية للنشر والتوزيع،) .**

الوطنية. ولكن أدت التطورات السياسية والاقتصادية والتقنية والإعلامية التي يشهدها العالم المعاصر إلى تراجع أدوار هاتين المؤسستين في عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية، بسبب نشوء مصادر جديدة لإنتاج القيم ونشرها، في مقدمتها الإعلام المرئي وتصاعد أدواره في ظل ثورتي الاتصال والمعلومات وكذلك بسبب قصور السياسات التربوية عن تلبية الحاجات المعرفية والعلمية والتربوية للمواطنين في إطار الجماعة الوطنية .

وبعبارة أخرى ينبغي أن لاتفهم العولمة والتدفقات الثقافية الكونية بالضرورة من منظور مجموعة من التقديرات الخطية المستقيمة المحكمة، بل يجب أن ينظر إليها على أنها سلسلة من الظروف المتداخلة، المعقدة والفوضوية التي يمكن أن ينظر إليها – في أفضل الأحوال – على أنها متجمعة حول (نقاط عقدية)، ولم يؤد ذلك إلى خلق (قرية كونية) منظمة بل إلى تضاعف نقاط الصراع والخصومة والتناقض الناشئ من التقديرات المبالغ فيها وغير الممكن التنبؤ بها والتي يشكل التلفزيون جزءا منها .

إن الإمبريالية الثقافية ظاهرة عالمية في الألفية الثالثة تعاني دول العالم النامي والمتقدم منها؛ وان اختلفت الدرجة، وتختلف خطورتها من بلد إلى آخر. وبمقدار ما تقتر . ثقافة الغازي من المغزو تضيق حدود الأهمية، وكذلك بمقدار ماتواجه الثقافة الغازية من مقاومة من الثقافة المغزوة فإن الخطورة تتضاءل ولا تتلاشى وتختلف المسألة بالنسبة لبلداننا في الوطن العربي، فالثقافة المحلية وكذلك العربية لا تواجه الثقافة الغازية في إطار موحد، إذ إن الدول العربية لاتقوم فيما بينها بالتنسيق لمواجهة الغزو الثقافي الإمبريالي الغربي، ومن ثم فالقضية بالنسبة للإنسان العربي تصبح مهددة لثقافته . مما قد يستهدف بنى المجتمع المدني ومكوناته ويعيق عملية الاستقرار السياسي والاجتماعي. لذا يمكن القول بأن معارك القرن الحادي والعشرين معارك إعلامية ثقافية معلوماتية يعرف نتيجتها من يتقن استخدام تكنولوجيا الإعلام وصناعة المعرفة.

لقد توثق الفعل الثقافي وترافق مع النشاط الإعلامي على مدى العصور، وتعاظم بعد التطور العلمي التقني والمعلوماتي الكبير الذي شهده ميدان الاتصالات في القرن العشرين ومطلع هذا القرن، وأضحى الإعلام بمختلف طرائقه ووسائله الوعاء المناسب والأكثر سعة لحمل رسالة الثقافة، بل إن تفاعل الإعلام مع الثقافة وتوحدهما في رسالة مشتركة قد أسهما لاحقا في التداخل والتنافذ وصعوبة التمييز بينهما. ودخلت تقانة الاتصال المتطورة لتدعم الثقافة وتجعلها أكثر إغراء ووجودا وانتشارا في عالم مبهر للصورة الواسعة والمستديمة الحضور، عالم سحري للإعلام السمعي – البصري الذي أغرق العالم في ثلاثية (الفورية، والتنوع، والانتشار)، واقتربت الثقافة في إيقاعها اليومي من كوكبية الإعلام، وتمازجت معه لتبني نمطا جديدا من الغايات والمصالح، وربما أضحى كل ذلك يقارب منظومة التجارة وجعلها محكومة بقوانين السوق في العرض والطلب .

لهذا تعد أجهزة الإعلام والمعلومات والتكنولوجيا المرتبطة بها من الآليات التي تلعب دورا محوريا في عملية العولمة؛ وهنا لابد من الإشارة إلى إن نسق النشاط الإعلامي الدولي الراهن كان قد وفر أدوات معرفية وآليات فعالة أسهمت في استحداث وتكوين صيغة قابلة للنفاذ على جميع أصعدة النظام الكوني، كذلك أصبح الإعلام مسؤولا عن الأدوار الحاسمة في تدويل الاقتصاد والثقافة، ومن هنا يأتي دوره محركا رئيسا في تشكيل منظومة العلاقات الدولية سواء على المستوى الرسمي بين الحكومات والأنظمة أو المستوى الحضاري بين الثقافات المختلفة بإعلاء شأن ثقافات أخرى . بل انه إذا كان البعض يتحدث اليوم عن نظام عالمي جديد، فإن الإعلام قد لعب دورا محوريا في تأسيس هذا النظام العالمي الجديد، إذ أصبحت القوى المسيطرة على التدفق الإعلامي في العالم وعلى أجهزة المعلومات هي القوى التي تسعى إلى السيطرة على العالم وعلى إعادة تشكيله على وفق هويتها وتوجهاتها ومصالحها . بمعنى أن نظام الإعلام والاتصالات في

---

[15] المصدر نفسه، ص .

[16] كريس باركر، مصدر سبق ذكره، ص .

[17] عاطف عدلي العبد، نهى عاطف العبد، مصدر سبق ذكره، ص .

[18] صباح ياسين، الإعلام: النسق القيمي وهيمنة القوة: (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،) : .

[19] فاطمة القليني، محمد شومان، مصدر سبق ذكره، ص – .

[20] المصدر نفسه، ص .

العالم أصبح يقوم على تركيز شبه احتكاري للقوة في مجال الاتصال في أيدي قلة من الأمم المتطورة . وفضلا عن ذلك فإن ثقافة العولمة ليس لديها القدرة على أن تولد لدى الأفراد أحساسا مشتركا بهوية تاريخية أو مصير مشترك، وينظر إليها على أنها ثقافة لاتحمل ذاكرة جماعية كما إنها تتسم بنزعة توسعية وإنها منقطعة عن أي ماض .

ثالثا: الإعلام العولمي

من منطلق أن العولمة هي توسيع للحداثة من نطاق المجتمع إلى نطاق العالم، وأنها تكثيف للعلاقات الاجتماعية على مستوى العالم بطرق تجعل الأحداث المحلية تتشكل بفعل الأحداث التي تقع على مسافات بعيدة والعكس صحيح، وفي سياق تحليل مفهوم العولمة الإعلامية ناقش " جيدنز Giddens " عولمة وسائل الإعلام Media Globalization على أنها ضغط للزمان والمكان، وهي سمة رئيسية في العالم المعاصر، وأشار إلى أن عولمة الإعلام هي الامتداد أو التوسع في مناطق جغرافية مع تقديم مضمون متشابه، وذلك مقدمة لنوع من التوسيع الثقافي. وأكد "جيدنز" أن وسائل الاتصال التكنولوجية الجديدة جعلت من الممكن فصل المكان عن الهوية، والقفز فوق الحدود الثقافية والسياسية، والتقليل من مشاعر الانتساب أو الانتماء إلى مكان محدد، وشدد على أهمية دور الإعلام في تضخيم الحقائق اعتمادا على الصور والرموز .

فالعولمة الإعلامية بهذا المعنى تشير إلى وحدة المضمون الإعلامي مما يحقق تنوعا وتعددا وجماهيرية أكثر لدى المتلقين، وأنها تعمل على تآكل الحدود التقليدية للدول، فبالرغم من أنها أحد فروع العولمة إلا أنها تؤدي إلى مزيد من العولمة، وتعمل على نشرها بين أرجاء المعمورة، وأنها انطلاقا من الغاية نفسها تقلل أهمية الهوية والانتماء إلى وطن بعينه، وبامكان القنوات الإعلامية أن تضخم ما ترى. تضخيمه، وتهمش ما يرى. القائمون عليها إهماله .

ويبرز في إطار جملة ما تقد. تياران رئيسيان يعكسان الرؤية الفلسفية والتوجه الإيديولوجي تجاه موقع الإعلام وأدواره ووظائفه وتتفاوت رؤاهم مابين التركيز على الجوانب التكنولوجية، ومداخل الليبرالية الجديدة، ومابعد الحداثة، وينتمي أغلبهم إلى دول الشمال المتقدم تكنولوجيا. ويعبر **التيار الأو** عن نفسه من خلال طروحات كل من "هارفي وفوكوياما وجيدنز" التي تركز في هذا الصدد على الآثار التي أحدثتها الثورة التكنولوجية في مجالي المعلومات والاتصالات مما أسهم في ظهور ما يمكـ " تسميته (الإعلام العولمي) الذي ساعد على تكثيف الزمان والمكان والعلاقات الاجتماعية والثقافية على مستوى الكرة الأرضية مما ترتب عليه القفز فوق الحدود الثقافية والسياسية وتحجيم كل ماهو محلي وتوسيع نطاقه الجغرافي بل واظفاء صفة العالمية عليه بواسطة وسائل الإعلام الحديثة وتكنولوجيا الاتصال والمعلومات. أما **التيار الثاني**؛ فقد عبر عن نفسه من خلال طروحات كل من " هربرت شيللر ونعوم تشومسكي" وآخرين وهم الذين يركزون على أن عولمة الإعلام ليست إلا تتويجا للاحتكار الرأسمالي ممثلا في التكتلات الإعلامية الكونية التي تعتمد عليها الشركات المتعددة الجنسية والمؤسسات المالية والدولية والدول الصناعية الكبرى في خلق ثقافة كونية ذات طابع استهلاكي تستهدف تهميش الهويات الثقافية القومية من خلال تحويل المنتجات الثقافية إلى سلع تخضع لقوانين السوق.

ويبرز الاستقطاب الحاد بين هذين التيارين إذ يعكس كل منهما الخلفيات الفلسفية والثقافية والقوى الاجتماعية والمصالح الاقتصادية التي ينتمي إليها.

وهناك تيار ثالث يتبناه أنصار التبعية في كل من شمال العالم وجنوبه ويرى أن تزامن حدوث الثورة العلمية والتكنولوجية في المعلومات والاتصالات، حيث أصبح العلم والمعلومات عنصرين أساسيين من عناصر الإنتاج، وقد تزامن

---

[21] عبد القادر رزيق المخا مي، النظام العالمي الجديد للإعلام، (القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع،) .

[22] ينظر: رضا عبد الواجد أمين، الإعلام والعولمة، (القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع،) – .

وكذلك:

Antony Giddens, Modernity and Self identity: Self and Society in the late Modern Aqe, (Stanford, CA, Stanford University Press, 1991), P.21.

[23] رضا عبد الواجد أمين، مصدر سبق ذكره، ص .

[24] المصدر نفسه، ص .

هذا مع بلوغ الرأسمالية مرحلة التحول من الصناعة إلى الرأسمالية المالية، الأمر الذي حتم ضرورة استثمار منجزات الثورة التكنولوجية في مجالي الاتصال والمعلومات لصالح المرحلة الراهنة من مراحل التطور الرأسمالي .

وإذا كانت وظائف الإعلام التوجيه والتنشئة الاجتماعية والتكامل وإشباع حاجات الجماعات والمجتمعات من المعلومات والبيانات والأخبار، فإن الالتزام بالحقيقة يعد أمرا لازما، وتحقيق هذه الوظائف ليس أمرا ميسورا، ذلك أن الإعلام نشاط يرتبط بمجموعة من العوامل الشخصية والمجتمعية والدولية. لأن ثقافة الأفراد وتكويناتهم النفسية المختلفة ومصالحهم وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والفكرية تشكل جزءا من التحديات التي تواجه الإعلامي في توجيه رسالته للأفراد. وعلى الرغم من تكرار التأكيد على البعد الأخلاقي للإعلام فإن الإعلام المجتمعي أو إعلام الدولة في بلداننا في الوطن العربي لم يعد وحده على الساحة، حيث يتعرض المواطن لصنوف هائلة من الأداء الإعلامي المجتمعي والعربي والأجنبي بعضها يدعِّم القيم والمعايير الأخلاقية للفرد، بينما البعض الآخر يحاول تحطيم ماهو أخلاقي ويقضي عليه، بعضها يؤكد على المحلية بينما يسعى البعض الآخر إلى الانتقال بالمواطن البسيط إلى آفاق عالمية. ويصبح الإعلام أخلاقيا إذا كانت التوجهات الأخلاقية في الأداء الإعلامي تفوق التوجهات غير الأخلاقية .

وعلى كل حال فإن ثقافة العولمة تعتمد على نتائج الثورة المتلاحقة في مجال الاتصالات والمعلومات التي بدأت منذ عقد ونيف من السنين، وسوف تستغرق تطوراتها عقودا عدة قادمة، وستدفعها إلى الأمام التطبيقات الجديدة أي الأدوات الجديدة التي ستلبي غالبا حاجات غير متنبأ بها حاليا.

وإزاء ما تقد. لم يعد الإعلام يمثل السلطة الرابعة أو الخامسة بل أصبح يشغل المجال الثقافي بين الفعل السياسي والثقافي ورد الفعل الجماهيري. وإذا كان المتحكمون في العولمة يسعون إلى صياغة ثقافة كونية شاملة تغطي مختلف جوانب النشاط الإنساني، مستهدفين خلق الإنسان العالمي المبرمج ذي البعد الواحد المؤمن بإيديولوجية السوق العالمية والمتوحد مع مصالحها ورموزها وشعاراتها، فإن ذلك ماكان ممكنا أن يتحقق إلا بفضل الثلاثي التكنولوجي الصاعد الذي يعمل في تناغم وتكامل غير مسبوق ويضم حسب ترتيب الأهمية كلا من وسائل الإعلام السمع بصر . المتمثلة في (الشبكات الفضائية، وشبكات المعلومات، والاتصالات السلكية واللاسلكية).

إن أهم خاصية تميز الإيديولوجيا الحديثة للاتصال، تتمثل في سيطرة المؤقت وإقصاء التاريخ أو تناسيه، والتغاضي عن سؤال صيرورة تكون الأشياء واستعمالاتها الاجتماعية. وأهم خاصية تميز مرحلة عولمة الشبكات والأنظمة حاليا، تتمثل في فكرة العولمة. إذ لايمكن لأحد أن ينكر ظاهرة ارتباط المجتمعات بشبكات تعتمد منطق (العالمية) في عملها. فالعولمة تمثل في نهاية المطاف واقعا ملموسا، وفي الوقت نفسه فإنها تشكل إيديولوجيا، تحولت شيئا فشيئا إلى ما يسميه البعض (إيديولوجيا جاهزة للاستهلاك)، ويخفي مصطلح العولمة بكل تشعباته خاصية التعقد التي تميز النظام العالمي الجديد أكثر مما يظهرها .

وقد اصطلح على تسمية تكنولوجيا الاندماج الذي حدث بين ظاهرتي ثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصال، ثم ظهور الحاسب الالكتروني القادر على تخزين خلاصة ما أنتجه الفكر البشري واسترجاعها في أسرع وقت ممكن، بثورة الاتصال الخامسة والتي تعززت باستخدام الأقمار الصناعية ونقل الأنباء والصور عبر القارات وبطريقة فورية. ثم جاء الانترنت ليمثل عنفوان ثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصال، وليمهد الطريق أمام العولمة وشركاتها متعددة الجنسية لعبور الحدود؛ لتكتسح وتخترق كل ما هو أمامها في العالم من قيم وعادات وتقاليد وثقافات، وتفرض سياسات اقتصادية وأنماطا لإدارة السياسات الدولية بما يتناسب ومصالحها وفرض سياساتها العولمية. ورغم ما يثا في الكثير من الكتابات عن مفهوم (القرية العالمية) في ظل العولمة وثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصال فإن الدلائل تشير إلى تحول العالم أو القرية العالمية

---

[25] عواطف عبد الرحمن، مصدر سبق ذكره، ص – .

[26] فاطمة القليني، محمد شومان، مصدر سبق ذكره، ص . وكذلك: ثامر كامل محمد، الأخلاقيات السياسية للنظام العالمي الجديد ومعضلة النظام العربي، سلسلة دراسات إستراتيجية، العدد : (أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية،) : .

[27] الصادق رابح، الإعلام والتكنولوجيا الحديثة، (العين، دار الكتاب الجامعي،) .

المزعومة إلى مئات الآلاف من المقاطعات الصغيرة المنعزلة بسبب التوجه الفردي لوسائل الاتصال وميلها إلى تفتيت الجماهير الموحدة إلى شظايا متناثرة .

وإذا كان الاندماج بين ثورة المعلومات والتطور النوعي الذي تحقق في مجال تكنولوجيا الاتصال قد تمخض عن العديد من الآثار الايجابية التي تمثلت في زيادة الترابط الإعلامي بين مختلف أنحاء العالم بصورة لم تشهدها البشرية من قبل، وقد بشر ذلك بظهور أشكال جديدة من التواصل الإعلامي في مجال المشاركة السياسية والعمل الدبلوماسي، بالإضافة إلى دخول قطاعات وشرائح جديدة من البشر في دائرة المشاركة المعرفية، وظهور ما يسمى بديمقراطية الإعلام المرئي والمسموع. ولكن في ظل التفاوت الهائل بين المتحكمين في العولمة أي في موارد العالم وثرواته وقراراته المصيرية في شمال العالم وبين سكان وأهالي حزام العوز الاقتصادي من أبناء الحضارات القديمة في جنوب العالم، في ظل هذه الأوضا . يظهر الوجه المعتم من التقدم التكنولوجي في مجال الاتصال والذي جعل الجوانب المبهرة لتكنولوجيا الاتصال والمعلومات وآثارها الإيجابية حكرا على شعوب ودول الشمال الصناعي المتقدم، حيث ساعد التقدم العلمي والتكنولوجي على تدعيم الهيمنة الاتصالية لدى الشمال والتي تجسدت أوضح ما تكو . في سطوة التدفق الإخباري وتدفق المعلومات من نصف الكرة الشمالي الغني إلى دول الجنوب الفقيرة وفي قلبها العالم العربي، والتي بلغت نسبتها (مئة مرة) من دول الشمال مقابل (مرة واحدة) من دول الجنوب ... فضلا عن طوفان الأفلام والبرامج والمسلسلات المستوردة والحملات الإعلامية ذات الطابع العالمي التي تتحكم فيها مجموعة الشركات العالمية العملاقة) .

رابعا: تأثيرات الإعلام العولمي وثورة المعلومات والاتصالات

إن التطورات الراهنة في تكنولوجيا الاتصال أفرزت نمطا اتصاليا يطلق عليه البعض نمط الاتصال الوسطي، يجمع بين كل من سمات الاتصال الشخصي والاتصال الجماهيري وله وسائله الاتصالية الخاصة به التي تضم في داخلها كل أشكال الاتصالات عن بعد. وقد تسببت هذه التطورات في حدوث عدة متغيرات ذات دلالة بالغة في بلداننا العربية، منها .

- حدوث توحيد متزايد للعالم بصفة كونه مكانا للاتصال والتبادل بين البشر والثقافات، حيث يلتقي الناس بصورة متزايدة في حياتهم اليومية بثقافات أخرى ويكتشفون قيما متغايرة ويتعرفون على إنسانية متعددة الوجوه .
- بروز دور التلفزيون والكومبيوتر بشكل غير مسبوق سواء في استطلاعات الرأي أو إدارة الانتخابات وتقديم الخدمة الإخبارية وتغطية الأحداث حال وقوعها.
- ظهور التكنولوجيا الرقمية والشبكات ذات الحيز الواسع، التي تجسدت في التداخل الراهن بين التلفزيون والتلفون والكومبيوتر والمضمون، في صناعة تكنولوجيا واحدة.
- الأدوار الهائلة التي لعبها الكومبيوتر والانترنت، وما أضافاه من خدمة معلوماتية وإعلامية في دول المنطقة العربية وفرت وقتا وجهدا لا يستهان بهما. فالشبكة المعلوماتية لم تعد تمس فقط الميدان الأكاديمي والعلمي بل تجاوزته إلى عوالم أخرى، فوصلت في الأول إلى مختبرات الأبحاث الخاصة، ثم إلى المؤسسات بكل أنواعها، ثم للجمهور. فخروج الانترنت من الإطار الضيق وتمدد الشبكة لتصل كل قطاعات المجتمع قد حمل معه الكثير من القيم (الإنترناتية)، ولاسيما مبادئ التبادل المتكافئ والانتقال الحر والمجاني للمعلومات. لذا فإن مجتمعا جديدا قد يرى الوجود يصطلح عليه (الفضاء الجماعي والتفاعلي)، حيث أصبح بمقدور الأفراد والجماعات في مختلف بقاع

---

[28] **محمد علي حوات، قراءة في الخطاب الإعلامي والسياسي المعاصر، (القاهرة، مكتبة مدبولي،) .**

[29] **عواطف عبد الرحمن، مصدر سبق ذكره، ص .**

[30] **ينظر: عواطف عبد الرحمن، مصدر سبق ذكره، ص – . وكذلك: محمد علي حوات، مصدر سبق ذكره، ص : .**

[31] **ثامر كامل محمد ، تكنولوجيا المعلومات والدولة الوطنية، مجلة شؤون الأوسط، العدد (بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوث)**
) – .

الأرض الالتقاء والتحاور بطريقة الكترونية، مما يوحي بتكوُّن أمة افتراضية فضلا عن الرفع من قيمة المعلومات أداة للحرية والرقي بالفرد .

وعليه فقد أصبح بإمكان الأفراد أن يتزودوا بخيارات متعددة لتلقي المعلومات وتوزيعها، وأصبح بامكان الفرد تبادل الملايين من المعلومات من خلال الهاتف وأدوات البث الفضائي والهواتف الخلوية والحواسيب واتصالات المايكروويف، وبخاصة الانترنت وبقية الأشكال المتعددة من الاتصال الرقمي .

وإذا أمكن عدّ ما تقد. ضمن سياق الجوانب الايجابية لثقافة العولمة وثورة المعلومات والاتصالات، فالسؤال الذي يبرز هنا ماهي الجوانب السلبية لها وللإعلام العولمي ؟ ويمكن تحديد أبرزها على الوجه التالي

- التركيز على الفرد الذي أصبح هدفا رئيسيا للاتصال الالكتروني، وأسفرت هذه التغيرات في نظم الاتصال وآلياته إلى حدوث تفكيك في منظومة العلاقات والقيم الاجتماعية، إذ أصبحت العلاقة أحادية بين مرسل الرسالة الإعلامية ومستقبلها، وأصبح مؤشر التقدم في هذه العلاقة هو سرعة بث المعلومة حتى ولو تم ذلك على حساب الاعتبارات المعرفية.
- أدى تركز تكنولوجيا الاتصال والمعلومات في دول الشمال الغنية إلى تحول دول الجنوب إلى سوق للاستهلاك الإعلامي والمعلوماتي والإعلاني، وقد أدى ذلك إلى زيادة الهيمنة الاتصالية والمعلوماتية لدول المرك المتحكمة في العولمة على دول الأطراف، كما أدى إلى تدفق الثقافة المركزية الغربية والمعلومات بلا ضوابط وفي إطار تنافس تجاري بحت.
- من أبرز سمات التدفق الحر للمعلومات، غياب الاستراتيجيات التي تنظم استخدام هذه المعلومات، فضلا عن صعوبة الحصول عليها إلا لنخبة محدودة من الميسورين المتعلمين مما ترتب عليه إتساع الفجوة بين من يملكون ومن لا يملكو في مجال الاتصال والمعلومات وظهور جيل أقل اهتماما ومعرفة في عصر المعلومات عما كان متاحا في ظل وسائل الإعلام التقليدية.
- يتميز التدفق الحر للمعلومات في عصر العولمة بطبيعة مراوغة ذات أبعاد متناقضة، فهو قد لا يؤد بالضرورة إلى حرية التعبير؛ إذ يظهر دائم مفهوم جديد للرقابة في عصر التدفق الاليكتروني للمعلومات يحمي مصالح المتحكمين في السوق العالمية. كما إن سقوط الحواجز الثقافية وكل العوائق الأخرى أمام التدفق الحر للمعلومات والأفكار لم يحقق التنوع والتعدد في الآراء والأفكار بما يثري الثقافة الإنسانية، وذلك بسبب هيمنة عدد محدود من الشركات العملاقة على النشاط الإعلامي والمعلوماتي في العالم مما يشكل تهديد للتنوع الثقافي الذي ميز تاريخ البشرية. فالمفهوم الحالي للعولمة التي يراد بها فرض الهيمنة على العالم يفرض نوع من العلاقة بين الأنا والآخر كما يفسرها عالم الاجتماع "ريمون كاربانتيه" من خلال رؤيته بأن (الغير هم أتباعنا أو أعداؤنا، فالأتباع نعني بهم من نعتمد عليهم لتحقيق أهدافنا والأعداء هم منافسونا) .
- يعد تدفق المعلومات إلى بلداننا في الوطن العربي حقيقة تكنولوجية أكثر م كونها حقيقة ثقافية واجتماعية، وذلك لصعوبة الوصول إلى شبكات المعلومات للغالبية العظمى من المواطنين لأسباب تتعلق بارتفاع نسب الأمية والفقر علاوة على القيود السياسية. لذلك فالتدفق الحر للمعلومات لا يعد أن يكون وسيلة من وسائل تدعيم الصمت لدى الغالبية العظمى من الأهالي الذين يلجأون إلى البرامج الترفيهية والرياضية، مما يعد صورة من صور التخدير وتزييف الوعي بالواقع بدلا من تحفيز هؤلاء المواطنين على فهم الواقع والعمل على تغييره إلى الأفضل.

---

[32] الصادق رابح، مصدر سبق ذكره، ص – . وكذلك: ينظر: محمد شطاح، الإعلام التلفزيوني: نشرات الأخبار – المحتوى والجمهور، (القاهرة، دار الكتاب الحديث،) . .

[33] جمال الزرن، تساؤلات عن الإعلام الجديد والانترنت، في أسامة الخولي (محرر) وآخرون، العرب وثورة المعلومات، سلسلة كتب المستقبل العربي ( ))) (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،) . . .

[34] ينظر: ثامر كامل محمد، تكنولوجيا المعلومات والدولة الوطنية، مصدر سبق ذكره، ص : . وكذلك: عواطف عبد الرحمن، مصدر سبق ذكره، ص – .

[35] عاطف عدلي العبد، نهى عاطف العبد، مصدر سبق ذكره، ص .

- يتخوف كثير من المفكرين من أن دور الدولة في سبيله إلى الاضمحلال، ذلك لأن مهنة الدولة مرتبطة بحدود سيادية تمارس من داخلها مسؤوليتها وسلطاتها، فإذا أصبحت الحدود متسامية أو شفافة أو مستباحة، فإن قدرة الدولة تضعف بمقدار عجزها عن معرفة أو تتبع مايدخل أو ينفذ إلى مجال سلطاتها ومسؤولياتها .

لابد لنا هنا أن نتساءل أين نحن في العراق الجديد من ثقافة العولمة والإعلام العولمي ومن هذه الثورة التقنية الحضارية ؟ وهل سنكتفي بتبعية المجتمعات المصنعة فيما يتعلق بهذه الثورة وتقنياتها، بما فيها من ايجابيات وسلبيات بدأت تظهر؟ أم ينبغي استباق الأحداث والسعي لإبداع طريق مستقل يعتمد الانتقاء والوعي في نقل هذه التقنيات، ثم تطويعها وتوظيفها بشكل أمثل في سياق عملية إصلاح وتحديث حضارية ومستقلة تؤهلنا للمشاركة في بناء التراث الحضاري للإنسانية على أساس التفاعل الحر بين جميع شعوب العالم ؟

خامسا: ما العمل ؟

في سياق مواجهة إشكالية البحث وتلمس إجابة للتساؤلات التي يطرحها يتطلب الأمر بالدرجة الأساس ضرورة العمل على قيام نهضة وطنية تعتمد مداخل جديدة وفرصا تتلاءم مع طبيعة عصر العولمة وتحدياتها. وفي طليعة تلك المداخل والفرص إدخال العلم إلى كل فعاليات المجتمع وتفعيل دوره في تعميق الوعي الثقافي والاجتماعي، وتعزيز دور المؤسسات التي تفرز قيادات وطنية متنورة، تؤمن بثقافة الديمقراطية والتسامح والإصلاح والتحديث، من حيث هي فعل إيمان بقدرة الذات على التجد وتتجاوز نفسها باستمرار لصالح مراتب أكثر تقدما. وتؤمن بضرورة مكننة العمل السياسي والإعلامي ببعديه الدفاعي والتعرضي، والارتقاء به إلى أقصى مدى لاستيعاب الآثار المباشرة والجانبية للتحديات المحتملة للموجة التطورية الثالثة أو ماسوف يترتب عليها. والعمل على توفير إمكانية سبر أغوارها وامتلاك ناصيتها والسعي الحثيث لامتلاك القدرة على الفعل الهادف وفي إطار فهم دقيق للواقع وإدراك حقيقي للمتغيرات والمؤثرات واستثمار أمثل لعامل الوقت، والتطلع المشروع للتفاعل المتكافئ مع قيم روح العصر. وغني عن التذكير أن ذلك لا يتم بالمواعظ والخطب بل بتبني سياسة من شأنها إصلاح المجتمع وتحديثه على وفق أسس عصرية، وتوظيف الموارد الطبيعية والمالية الهائلة لبلورة إستراتيجية وطنية طويلة الأمد تؤسس لوطن ذي ركائز علمية وديمقراطية وعقلانية تحترم فيه حقوق الإنسان الأساسية، وتتاح فيه فرص متساوية للجميع عند خط الشروع، وتمنح فيه الفرص على وفق الاختصاص والكفاءة والتفوق. وترشدنا تجارب التاريخ إلى أن عملية الارتقاء بالشعوب إلى مرحلة التاريخ الكوني الحضاري ليست نتاجا فوقيا لقيادات سياسية متنورة بل تتطلب انتقالات نوعية وعلى جميع الصعد، تضع الشعب في موقعه الفاعل في بلده أولا، وفي محيطه الإقليمي ثانيا، وفي المشاركة لصنع التاريخ العالمي ثالثا.

وما نحتاجه في عراقنا الجديد للدخول في التاريخ العالمي من موقع الفاعل فيه لا يقتصر على مجموعة قيادات سياسية متنورة فحسب، على الرغم من أهمية ذلك، بل – أيضا– مؤسسات سياسية واقتصادية وثقافية، وجامعات رصينة ومعاصرة ومراكز أبحاث علمية تسهم في بناء المعرفة والتقدم وتوليد ثقافة معاصرة في مجتمع عراقي حر وقادر على الاستجابة لمتطلبات الإصلاح والتحديث وإطلاق نهضة وطنية جديرة بالارتقاء لمواجهة تحديات عصر العولمة. ذلك أن المشروع النهضوي في عصر العولمة يحتاج إلى مقومات جديدة تتجاوز دور الفرد إلى دور المؤسسات والدول، ويتطلب تنفيذه تكامل أدوار المقومات الثلاثة التي تعد ركائز ضرورية لنجاحه، وهي الإنسان العراقي المثقف والمزود بعلوم ومعارف وتقنيات عصرية، والمؤسسات الأكاديمية والثقافية والمالية الوطنية التي ترعى الإبداع على أنواعه وتسهم في التنمية البشرية المستدامة، والقيادة السياسية الوطنية المتنورة والعاملة على ضمان تحقيق الأمن الوطني والاستقرار السياسي والانسجام الاجتماعي والبناء والأعمار.

وتبرز لوحة المشهد الثقافي في المرحلة الراهنة التأخر في الدخول إلى عصر العولمة عبر مؤسسات ثقافية ذات توجه شمولي للمشاركة في الثقافة الكونية من موقع الفعل وليس رد الفعل. فضلا عن انشغال الجيل الجديد من المثقفين والشباب بشكل شبه تام عن الإنتاج الثقافي في مختلف المجالات. ومن أبرز تجليات ذلك المشهد تراجع الاهتمام بالكتاب، والمسرح

---

[36] **حسين كامل بهاء الدين، مصدر سبق ذكره، ص .**

والفنون ومختلف أشكال الإبداع. وهناك ميل واضح لتراجع صحافة النقد مقابل حضور كثيف لثقافة الترفيه، والأخبار، والتنظير. في حين أن الحياة الثقافية لا تستقيم أبدا إلا بحضور فاعل للرأي الناقد البناء، فوجوده أمر ضروري لعملية الإصلاح والتحديث. فالإبداع فردي بطبيعته، ولكن الاستفادة من ثمراته لا يمكن إلا أن تكون جماعية، وإلا عزل المبدعون عن دائرة التأثير في المجتمع. وتحتاج الثقافة إلى تراكم طويل الأمد حتى تعطي ثمارها وليس المطلوب قمع الصراع التفاعلي بين المقولات الثقافية المتناقضة بل الارتقاء به نحو مرحلة أرقى من التفاعل الإيجابي البناء على قاعدة الحوار، واحترام الرأي الآخر، وتعزيز دور القيم الثقافية في المجتمع.

لقد آن الأوان للخروج من الإشكالية التي تقول بالاستفادة السريعة من تقدم التكنولوجيا والعلوم العصرية مقابل رفض دائم وثابت للمقولات العقلانية والليبرالية التي أنتجت تلك التكنولوجيا عبر تقدم العلوم العصرية في مختلف دول العالم. فقد دلت تجارب اليابان والصين والنمور الآسيوية والهند، أنه بالإمكان التوازن بين ثمرات التقدم العلمي والتكنولوجي، ورفض المقولات السلبية التي ترافق عملية الاقتباس السهل التي تزيد من تخلف المجتمعات، وذلك يتطلب التمسك بكل ماهو إيجابي في الثقافة المحلية والثقافات الإنسانية، والتطلع إلى مستقبل البشرية بنظرة حضارية، وأكثر إنسانية تحمي التراث والأصالة دون أن تقطع الطريق على الحداثة السليمة عبر ثورات متعاقبة للعلوم العصرية والتطور التكنولوجي.

إن جوهر المسألة يكمن إذن في كيفية إدخال العلم إلى كل فعاليات المجتمع ودوره في إنتاج فروع المعرفة والعلوم الراقية وتعميق الوعي وتفعيل عمليات الإصلاح والتحديث، فغاية ثقافة المعرفة والتحديث هي الوصول إلى مجتمع المعرفة والعلوم الراقية والحداثة المتطورة باستمرار لأنها صيرورة لا تتوقف تقود كل مرحلة إلى مرحلة أرقى منها. وليست المعرفة والحداثة محطة تاريخية بل تحولات مستمرة في جوانب الحياة كافة.